استجابات إسلامية للمناهج الغربية في دراسات القرآن الكريم: نحو التعامل مع التحديات الأكاديمية العالمية المعاصرة

Mohammad Yusuf Setyawan
UIN Walisongo Semarang
mohammad.yusuf.setyawan@walisongo.ac.id

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل استجابات العلماء المسلمين تجاه تطبيق المناهج الغربية في دراسات القرآن الكريم، ولا سيما النقد التاريخي، والمقاربة التنقيحية، والبلاغة السامية. وتعتمد الدراسة على المنهج الكيفي من خلال البحث المكتبي، وذلك بدراسة أبرز الأعمال في الدراسات القرآنية المعاصرة. وتُظهر النتائج أن تطبيق المناهج المنبثقة من دراسات الكتاب المقدس يثير تحديات إبستمولوجية جوهرية لمفهوم الوحي في الإسلام. ومع ذلك، فإن استجابات العلماء المسلمين ليست أحادية؛ إذ يتجه بعضهم إلى النقد المنهجي، في حين يسعى آخرون إلى التفاعل الانتقائي دون المساس بأسس الإبستمولوجيا الإسلامية. وتسهم هذه الدراسة في إثراء النقاش حول استجابات الإسلام للتحديات العالمية، لا سيما في المجال الأكاديمي، من خلال إبراز أن التفاعل بين التراث العلمي الإسلامي والمناهج الغربية يتسم بالديناميكية والطابع النقدي والتفاوضي.

الكلمات المفتاحية :الدراسات القرآنية؛ المناهج الغربية؛ الإبستمولوجيا الإسلامية؛ النقد التاريخي؛ التحديات العالمية

ABSTRACT

This article aims to analyze Muslim scholarly responses to the application of Western methodologies in Qur'anic studies, particularly historical criticism, revisionist approaches, and Semitic rhetoric. This study employs a qualitative method with a library research approach, examining key works in contemporary Qur'anic scholarship. The findings reveal that the application of methodologies rooted in Biblical studies poses significant epistemological challenges to the Islamic concept of divine revelation (wahy). However, Muslim responses are not monolithic; while some scholars offer methodological critiques, others adopt selective engagement without compromising the foundations of Islamic epistemology. This study contributes to the broader discourse on Islam's responses to global challenges, particularly in the academic sphere, by demonstrating that the interaction between Islamic intellectual tradition and Western methodologies is dynamic, critical, and negotiative.

Keywords: *Qur'anic studies; Western methodology; Islamic epistemology; historical criticism; global challenges*

المقدمة

شهدت الدراسات الإسلامية خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة في طبيعة الأسئلة المطروحة ومناهج البحث المعتمدة. ولم يعد التعامل مع النصوص الدينية مقتصرًا على الأطر التقليدية التي نشأت داخل الحضارة الإسلامية، بل دخلت إلى هذا الميدان مقاربات حديثة تشكلت في البيئات الأكاديمية الغربية، متأثرة بتاريخ الدراسات الكتابية، واللسانيات الحديثة، والأنثروبولوجيا، والنقد الأدبي، وفلسفات الحداثة وما بعدها. وقد أصبح القرآن الكريم، بوصفه النص المؤسس للحضارة الإسلامية، موضوعًا مركزيًا لهذه المقاربات الجديدة، الأمر الذي فتح بابًا واسعًا للنقاش العلمي والمنهجي حول طبيعة هذه المناهج وحدود مشروعيتها في دراسة النص (Rippin, 2001, pp. 1–8).

ولا يمكن فهم هذا التحول بمعزل عن السياق العالمي المعاصر، حيث أصبحت المعرفة جزءًا من شبكات القوة الثقافية والمؤسساتية. فالمجلات المحكمة، ومراكز الدراسات الدولية، والجامعات ذات التصنيف المرتفع، أصبحت قادرة على تحديد ما يُعد معرفة معتبرة، وما يُعد منهجًا علميًا مقبولًا، ومن يستحق أن يكون فاعلًا في إنتاج الخطاب الأكاديمي العالمي. وفي هذا السياق، لم تعد الدراسات القرآنية مجرد شأن داخلي للمؤسسات الإسلامية، بل أصبحت ميدانًا للتنافس المعرفي وتعدد المرجعيات (Hallaq, 2013, p. 42).

ومن أبرز المناهج الغربية التي أثرت في الدراسات القرآنية المعاصرة ما يُعرف بالنقد التاريخي، الذي يركز على قراءة النص في ضوء سياق نشأته التاريخية، والمقاربات التنقيحية التي تعيد النظر في الروايات الإسلامية التقليدية حول التاريخ المبكر، إضافة إلى التحليل الأدبي والبنيوي الذي يدرس النص من حيث وحدته الداخلية، وتناسق بنيته، ووظائف لغته. وقد أسهمت هذه المناهج في توسيع دائرة البحث وإثارة أسئلة جديدة، إلا أنها في الوقت نفسه أثارت جدلًا كبيرًا، خاصة عندما اقترنت بفرضيات مسبقة تتعلق ببشرية النص أو نفي مرجعية الوحي (Wansbrough, 1977, pp. 35–41).

وقد انقسم الباحثون المسلمون في التعامل مع هذه المناهج إلى اتجاهات متعددة. فهناك من رأى فيها امتدادًا لخبرة إنسانية يمكن الإفادة من أدواتها مع التحفظ على خلفياتها الفلسفية، وهناك من رفضها بوصفها إسقاطًا لمناهج نشأت في سياق مغاير على نص يمتلك خصوصيته التاريخية واللغوية والعقدية. كما ظهر اتجاه ثالث يدعو إلى تجاوز ثنائية القبول والرفض، عبر بناء مناهج جديدة من داخل المرجعية الإسلامية مع الاستفادة النقدية من الخبرة العالمية (Al-Attas, 1995, pp. 89–95).

وفي السياق ذاته، دعا بعض المفكرين المعاصرين إلى مراجعة طرق قراءة التراث والنصوص الدينية في ضوء أسئلة الحداثة، كما في أعمال محمد أركون التي ركزت على ضرورة توسيع أفق الدراسات الإسلامية وإخضاع المسكوت عنه في التراث للتحليل المعرفي الحديث (Arkoun, 2006, pp. 57–61). كما ناقش نصر حامد أبو زيد العلاقة بين النص والثقافة وإمكانات التأويل التاريخي، وهو ما أسهم في تجديد الجدل حول سلطة النص وحدود القراءة المعاصرة (أبو زيد، 1990، ص 15–22).

ومع كثرة الدراسات التي تناولت المناهج الغربية ذاتها، فإن جانبًا مهمًا ظل بحاجة إلى مزيد من التحليل، وهو **كيفية استجابة العلماء المسلمين لهذه المناهج** بوصفها ظاهرة فكرية مستقلة. فالاستجابات الإسلامية لا تمثل مجرد ردود أفعال، بل تكشف عن تصورات مختلفة للمعرفة، وعلاقة العقل بالنقل، وموقع التراث في

العصر الحديث، وحدود الانفتاح على الآخر. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تنظر إلى هذه الاستجابات بوصفها أحد مظاهر تفاعل الإسلام مع التحديات العالمية في المجال الأكاديمي.

وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أبرز المناهج الغربية المؤثرة في الدراسات القرآنية المعاصرة؟ ما طبيعة التحديات المعرفية التي تثيرها؟ كيف استجاب العلماء المسلمون لها؟ وما النموذج الأكثر اتزانًا للتعامل معها في السياق العالمي الراهن؟

وتتمثل جدة الدراسة في أمرين رئيسين: الأول، الربط بين الجدل المنهجي في الدراسات القرآنية وبين موضوع التحديات العالمية، والثاني، تقديم قراءة تحليلية تتجاوز ثنائية الرفض المطلق والقبول المطلق، وتقترح نموذجًا للتفاعل النقدي المنضبط يجمع بين الأصالة والانفتاح.

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الكيفي القائم على البحث المكتبي، وهو من أنسب المناهج لمعالجة القضايا الفكرية والمنهجية التي تتعلق بتحليل المفاهيم، وفحص الخطابات، ومقارنة الاتجاهات العلمية المختلفة. ويتميز هذا المنهج بقدرته على التعامل مع النصوص بوصفها حوامل للمعاني والرؤى الكامنة، لا مجرد بيانات كمية قابلة للقياس. ونظرًا لأن موضوع الدراسة يتناول استجابات العلماء المسلمين تجاه المناهج الغربية في الدراسات القرآنية، فإن المنهج الكيفي يتيح فهمًا أعمق للبنى المعرفية التي تقف خلف هذه المواقف (Creswell, 2014, pp. 183–186).

ويقصد بالبحث المكتبي في هذه الدراسة الاعتماد على المصادر الأصلية والفرعية ذات الصلة، من كتب ومقالات أكاديمية ورسائل علمية ودراسات نقدية تناولت المناهج الغربية في الدراسات القرآنية، أو ناقشت مواقف الباحثين المسلمين منها. ولا يقتصر هذا النوع من البحث على جمع المعلومات، بل يتضمن القراءة التحليلية وإعادة تنظيم المادة العلمية في إطار يجيب عن أسئلة البحث.

وقد تكونت مصادر البيانات من نوعين: مصادر أولية ومصادر ثانوية. أما المصادر الأولية فتشمل أعمالًا تمثل الاتجاهات الغربية المؤثرة في الدراسات القرآنية، مثل كتابات John Wansbrough و Andrew Rippinو Angelika Neuwirthو Patricia Croneوغيرهم. كما تشمل أعمال مفكرين وعلماء مسلمين ناقشوا هذه المناهج بصورة مباشرة، مثل Fazlur Rahman و Syed Muhammad Naquib al-Attas، إضافة إلى عدد من الباحثين العرب المعاصرين. وأما المصادر الثانوية فتشمل الدراسات التحليلية التي عرضت هذه الاتجاهات بالنقد أو المقارنة أو التفسير.

وتم اختيار المصادر وفق معايير علمية محددة، من أهمها: الصلة المباشرة بموضوع البحث، والاعتبار الأكاديمي للمصدر، وتنوع الاتجاهات الفكرية، والتوازن بين المصادر الكلاسيكية والدراسات الحديثة. وقد روعيت في تصميم البحث مبادئ الانسجام بين موضوع الدراسة والمنهج المستخدم، لأن اختيار المنهج في البحوث الإنسانية لا ينفصل عن طبيعة الإشكالية المطروحة وأسئلة البحث (عابدين، 2016، ص 41–46).

وبعد جمع المادة العلمية، جرى تصنيفها في محاور رئيسة، هي: تعريف المناهج الغربية، الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي تستند إليها، تطبيقاتها في الدراسات القرآنية، أنماط الاستجابة الإسلامية، ثم إمكان بناء

بدائل معرفية من داخل المرجعية الإسلامية. وساعد هذا التصنيف على تنظيم المادة وتجنب التداخل بين الجوانب الوصفية والتحليلية.

واعتمدت الدراسة على **التحليل الموضوعي** لاستخراج القضايا المتكررة في الأدبيات، مثل مفهوم الوحي، تاريخية النص، سلطة التفسير، العلاقة بين التراث والحداثة، وإشكالية الحياد العلمي. كما استُخدم **التحليل المقارن** لموازنة المواقف المختلفة والكشف عن نقاط الالتقاء والاختلاف بينها، سواء بين المدارس الغربية نفسها، أو بين استجابات العلماء المسلمين تجاهها(Braun & Clarke, n.d., pp. 79–86).

ومن الناحية الإجرائية، بدأت الدراسة بتحديد الكلمات المفتاحية المرتبطة بالموضوع، ثم مراجعة الأدبيات ذات الصلة، تلتها قراءة أولية واسعة، ثم قراءة تحليلية معمقة للمراجع الأكثر اتصالًا بأسئلة البحث. وبعد ذلك جرى تلخيص النتائج الجزئية، وإعادة تركيبها في صورة إطار تفسيري متماسك.

كما التزمت الدراسة بمبدأ **الحياد النقدي**، أي عدم الانطلاق من موقف مسبق بالقبول أو الرفض، بل تقويم كل منهج بحسب أدواته ونتائجه وخلفياته النظرية. فليس المقصود إصدار أحكام أيديولوجية، وإنما بناء فهم علمي متوازن يميز بين ما يمكن الإفادة منه، وما يحتاج إلى مراجعة أو تحفظ.

ومع ذلك، تدرك الدراسة حدودها المنهجية، إذ تعتمد على البحث المكتبي دون دراسة ميدانية لبرامج الجامعات أو اتجاهات الباحثين المعاصرين. كما أنها لا تستهدف تقويم جميع المناهج الغربية تفصيلًا، بل تركز على أبرزها حضورًا وتأثيرًا في الدراسات القرآنية. غير أن هذه الحدود لا تنتقص من قيمة الدراسة، بل تحدد مجالها العلمي بدقة، وتفتح الباب أمام بحوث لاحقة أكثر تخصصًا.

المناقشة

1. المناهج الغربية في الدراسات القرآنية: تنوع داخلي وتباين منهجي

أظهرت نتائج الدراسة أن الحديث عن "المناهج الغربية" بوصفها اتجاهًا واحدًا أمر غير دقيق من الناحية العلمية؛ إذ تتعدد هذه المناهج في منطلقاتها وأهدافها ونتائجها. فبعضها يهتم بإعادة بناء السياق التاريخي للنص، وبعضها يركز على التحليل اللغوي والبنيوي، وبعضها ينشغل بمقارنة القرآن بغيره من النصوص الدينية القديمة، بينما يتجه بعضها إلى دراسة تلقي النص ووظيفته الاجتماعية.

ويُعد **النقد التاريخي** من أبرز هذه المناهج، إذ يسعى إلى فهم النص القرآني في ضوء ظروف نزوله، وتحولات المجتمع العربي في القرن السابع الميلادي، والعلاقة بين النص والواقع الاجتماعي والسياسي. وقد أسهم هذا المنهج في طرح أسئلة مهمة تتعلق بالمكي والمدني، وتدرج التشريع، وأنماط المخاطبين في القرآن، وتاريخ تشكل الجماعة المسلمة الأولى. غير أن بعض تطبيقاته وقعت في اختزال النص إلى مجرد وثيقة تاريخية مرتبطة بزمانها، وهو ما يقلل من بعده المعياري والعالمي(Wansbrough, 1977, pp. 35–41).

أما **المقاربات التنقيحية** فقد اتجهت إلى مراجعة الروايات الإسلامية التقليدية حول جمع القرآن والتاريخ الإسلامي المبكر، مستندةً إلى مصادر غير إسلامية أو شواهد أثرية أو فرضيات بديلة. وقد مثّل هذا الاتجاه مرحلة من الشك المنهجي الحاد، لكنه تعرض لنقد واسع بسبب تعميم نتائج جزئية، أو التعامل الانتقائي مع المصادر، أو إهمال الطبيعة الشفوية القوية للمجتمع العربي الأول (Crone & Cook, 1977, pp. 3–17).

وفي المقابل، برزت اتجاهات أكثر اعتدالًا ركزت على **التحليل الأدبي والبنيوي**، فدرست وحدة السورة، والعلاقات الداخلية بين المقاطع، والتكرار المقصود، والبنية الحلقية للنص. وقد ساعد هذا الاتجاه على إبراز قدر كبير من التماسك الداخلي في السور القرآنية، خلافًا للصورة القديمة التي رأت النص مفككًا أو تجميعيًا (Cuypers, 2009, pp. 19–26).

ويمكن ربط هذه الرؤية بما قرره علماء البلاغة المسلمين قديمًا حول النظم وتناسب المعاني، وهو ما نجده بصورة مبكرة عند عبد القاهر الجرجاني حين جعل جمال الكلام قائمًا على العلاقات بين أجزائه لا على المفردات منفردة (الجرجاني، 2007، ص 88–94). وهذا يدل على أن بعض ما يعد حديثًا في الدراسات الغربية يجد له أصولًا راسخة في التراث الإسلامي، وإن اختلفت المصطلحات والأدوات.

2. التحديات الإبستمولوجية والمعرفية

تكشف نتائج الدراسة أن جوهر الإشكال لا يكمن في استعمال أدوات تحليلية جديدة فحسب، بل في **المرجعيات المعرفية** التي تتحرك في خلفية بعض المناهج. فالأداة قد تبدو تقنية ومحايدة في ظاهرها، غير أن توظيفها قد يستند إلى تصورات مسبقة حول الدين، وطبيعة الحقيقة، ومصدر النص، وحدود العقل الإنساني، ومكانة الغيب في المعرفة. ولهذا فإن الخلاف بين بعض الباحثين المسلمين وهذه المناهج لا يدور دائمًا حول التفاصيل الجزئية، بل حول الأسس التي تُبنى عليها العملية التفسيرية من أصلها.

فعندما يُفترض سلفًا أن جميع النصوص الدينية نتاج اجتماعي محض، يصبح القرآن الكريم قابلًا للقراءة بوصفه انعكاسًا لوعي جماعة تاريخية، لا بوصفه وحيًا إلهيًا نزل على النبي محمد ﷺ. وعندما يُفترض أن الغيب خارج مجال المعرفة مطلقًا، فإن الحديث عن الوحي والنبوة سيتحول إلى خطاب رمزي أو أسطوري. ومن هنا يتبين أن كثيرًا من النتائج المتباينة ترجع إلى اختلاف النماذج المعرفية لا إلى مجرد اختلاف الأدوات (Al-Attas, 1995, pp. 89–95).

كما أظهرت الدراسة أن نقل بعض المناهج من بيئة دراسات الكتاب المقدس إلى الدراسات القرآنية دون تعديل كافٍ يثير إشكالات منهجية واضحة. فقد تطورت المناهج النقدية الغربية في سياق نصي وتاريخي خاص، ارتبط بتعدد النسخ، والترجمات المبكرة، والنزاعات الكنسية، وتاريخ تدويني طويل ومعقد. أما القرآن الكريم، فقد تميز منذ بداياته بحضور قوي للحفظ الشفهي، والتلقي الجماعي، والتدوين المبكر، والاستعمال التعبدي المستمر، إلى جانب نشوء علوم متخصصة في القراءات والرسم والتفسير واللغة. ولذلك فإن إسقاط أدوات نشأت في سياق على سياق آخر دون مراعاة الفروق قد يؤدي إلى نتائج غير دقيقة (الزرقاني، 2001، ص 21–24).

ومن التحديات المعرفية أيضًا قضية **سلطة التفسير** .فبعض المقاربات الحديثة تميل إلى تحرير النص من كل سلطة تراثية، والنظر إلى القراءة بوصفها فعلًا فرديًا مفتوحًا بلا حدود تقريبًا. غير أن التراث الإسلامي ينظر إلى التفسير بوصفه علمًا منضبطًا بقواعد اللغة، والسياق، والسنة، وأسباب النزول، وإجماع الأمة، وتراكم الخبرة العلمية. وهذا لا يعني إغلاق باب الاجتهاد، بل يعني أن الحرية التفسيرية لا تنفصل عن المسؤولية العلمية والمنهجية (القطان، 2000، ص 311–318).

ويضاف إلى ذلك تحدي **الهيمنة المعرفية** في المؤسسات الأكاديمية الدولية. فحين تُقدَّم بعض المناهج بوصفها النموذج الوحيد المقبول للعلمية، تُقصى ضمنيًا الرؤى الأخرى أو تُختزل في خانة "الإيمان غير العلمي". غير أن العلوم الإنسانية نفسها تُظهر أن المناهج ليست بريئة من التاريخ أو الثقافة، بل هي نتاج بيئات فلسفية واجتماعية محددة. ومن ثم فإن التعدد المنهجي لا يُعد تهديدًا للعلم، بل شرطًا من شروط نضجه وعدالته (Hallaq, 2013, pp. 37–42).

3. أنماط الاستجابات الإسلامية تجاه المناهج الغربية

أوضحت الدراسة أن العلماء المسلمين والمفكرين المعاصرين لم يتخذوا موقفًا موحدًا من هذه المناهج، بل ظهرت ثلاثة اتجاهات رئيسة، لكل منها منطقه العلمي وأولوياته الفكرية.

الاتجاه الأول هو **الاتجاه النقدي الرافض**، ويرى أن كثيرًا من المناهج الغربية محمّل بمقدمات فلسفية لا تنسجم مع الإيمان بالوحي والنبوة، ولذلك يحذر من تبنيها تحت شعار الحياد العلمي أو التحديث الأكاديمي. ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن التراث الإسلامي قد طوّر أدوات أصيلة لفهم النص، مثل علوم القرآن، وأصول التفسير، والجرح والتعديل، واللسانيات العربية الكلاسيكية، ولا يجوز تجاوزها بدعوى أنها تقليدية (الزرقاني، 2001، ص 45–49).

ومع ذلك، قد يُؤخذ على بعض صور هذا الاتجاه الاكتفاء بالموقف الدفاعي، أو رفض كل جديد لمجرد مصدره، أو عدم التمييز بين الأدوات المفيدة والخلفيات المرفوضة. وهو ما قد يؤدي أحيانًا إلى إغلاق باب التطوير المنهجي المشروع.

أما الاتجاه الثاني فهو **الاتجاه الانتقائي التفاعلي**، ويقوم على التمييز بين الأداة والخلفية. فليس كل ما جاء من الغرب مرفوضًا، كما أن مجرد الحداثة لا يمنح المنهج قيمة ذاتية. ولذلك يرى هذا الاتجاه إمكان الإفادة من التحليل اللغوي، والدراسات النصية، وبعض أدوات التاريخ الاجتماعي، ما دامت لا تُفرض معها نتائج مسبقة تتعارض مع الثوابت الإسلامية. وقد مثّل هذا التوجه عدد من مفكري الإصلاح المعاصر الذين سعوا إلى التوفيق بين الأصالة والتجديد(Rahman, 1982, pp. 145–151).

أما الاتجاه الثالث فهو **الاتجاه التأصيلي البنائي**، الذي لا يكتفي بالرفض أو الانتقاء، بل يسعى إلى تأسيس مناهج حديثة تنطلق من الرؤية الإسلامية للمعرفة والإنسان والوحي. ويركز هذا الاتجاه على إعادة تفعيل علوم القرآن، ومقاصد الشريعة، وأصول الفقه، وفلسفة اللغة العربية، مع الإفادة الواعية من الخبرة الإنسانية العامة. والهدف هنا ليس الانعزال عن العالم، بل إنتاج مساهمة إسلامية أصيلة في المعرفة المعاصرة (Al-Faruqi, 1982, pp. 25–31).

4. الإسلام والتحديات الأكاديمية العالمية

تدل نتائج الدراسة على أن استجابة الإسلام للتحديات العالمية لا ينبغي حصرها في الاقتصاد أو السياسة أو الهوية، بل تشمل كذلك **المجال العلمي والمنهجي** .فالعالم المعاصر يشهد تنافسًا حول إنتاج المعرفة، وتحديد معايير العلمية، وصياغة المناهج التي تُدرّس في الجامعات وتُعتمد في المجلات المحكمة ومراكز القرار الثقافي.

وفي هذا الإطار، يصبح الجدل حول الدراسات القرآنية مثالًا واضحًا على صراع المرجعيات في العصر الحديث. فإذا قُدمت مناهج بعينها بوصفها "عالمية" بينما هي في الحقيقة ابنة سياقات تاريخية مخصوصة، فإن ذلك يفرض على المجتمعات الأخرى واجب المشاركة النقدية لا الاستهلاك السلبي. فالعالمية الحقيقية لا تعني فرض نموذج واحد، بل تعني إتاحة المجال لتعدد النماذج القادرة على الحوار والتقويم المتبادل.

ومن هنا فإن الموقف الأكثر اتزانًا يتمثل في **الانفتاح النقدي المنضبط**؛ أي الإفادة من المنجز الإنساني في أدواته وتقنياته، مع الحفاظ على الاستقلال المعرفي والخصوصية الحضارية. وهذا ليس موقفًا دفاعيًا، بل امتداد لتجربة الحضارة الإسلامية التي استفادت من الطب اليوناني، والمنطق، والرياضيات، ثم أعادت صياغتها ضمن أفقها القيمي والعلمي الخاص(Al-Attas, 1995, pp. 120–126).

5. إسهام الدراسة وإطار مستقبلي مقترح

تقدم هذه الدراسة إطارًا تحليليًا يساعد على تجاوز الثنائية الشائعة بين القبول المطلق والرفض المطلق. فبدل النظر إلى المناهج الغربية بوصفها خيرًا محضًا أو شرًا محضًا، تقترح الدراسة قراءة أكثر تركيبًا تقوم على ثلاثة مستويات :**فحص الخلفيات النظرية، وتمييز الأدوات الإجرائية، وبناء البدائل الأصيلة**.

فعلى المستوى الأول، ينبغي تحليل الافتراضات الكامنة خلف كل منهج، مثل نظرته للوحي أو التاريخ أو الإنسان. وعلى المستوى الثاني، يمكن الإفادة من الأدوات المفيدة في التحليل اللغوي والنصي والاجتماعي. أما على المستوى الثالث، فينبغي تطوير مناهج من داخل المرجعية الإسلامية قادرة على المنافسة والحوار في الساحة الدولية.

وبذلك فإن مستقبل الدراسات القرآنية لا ينبغي أن يقوم على صراع هوياتي بين "القديم" و"الجديد"، بل على شراكة نقدية منتجة، توازن بين الوفاء لخصوصية القرآن الكريم والانفتاح على الخبرة الإنسانية المتراكمة. وهذا هو المعنى الأعمق لاستجابة الإسلام للتحديات العالمية في المجال الأكاديمي المعاصر.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن المناهج الغربية المؤثرة في الدراسات القرآنية المعاصرة تمثل أحد أبرز التحديات الأكاديمية التي واجهها الفكر الإسلامي في العصر الحديث، غير أنها لا تُعد كتلة واحدة متجانسة من حيث المنطلقات أو النتائج. فقد أظهر التحليل أن بعض هذه المناهج يقدم أدوات إجرائية نافعة في دراسة اللغة، والبنية النصية، والسياقات الاجتماعية والتاريخية، بينما يرتبط بعضها الآخر بخلفيات فلسفية وافتراضات معرفية قد تتعارض مع التصور الإسلامي للقرآن الكريم بوصفه وحيًا إلهيًا منزلًا محفوظًا. ومن ثم فإن الحكم العام بالقبول المطلق أو الرفض المطلق لا ينسجم مع طبيعة هذه المناهج ولا مع مقتضيات البحث العلمي الرصين.

كما بيّنت الدراسة أن استجابات العلماء المسلمين تجاه هذه المناهج جاءت متعددة ومتدرجة، ولم تنحصر في موقف واحد. فقد ظهر اتجاه نقدي يركز على حماية المرجعية الإسلامية والتنبيه إلى المخاطر الكامنة في بعض التطبيقات المنهجية الوافدة، وبرز اتجاه انتقائي تفاعلي يسعى إلى الإفادة من الأدوات العلمية الحديثة مع الحفاظ على الثوابت العقدية والمعرفية، كما ظهر اتجاه تأصيلي بنائي يعمل على تطوير مناهج حديثة

منطلقة من علوم القرآن وأصول التفسير ومقاصد الشريعة واللسانيات العربية. ويكشف هذا التنوع عن حيوية الفكر الإسلامي وقدرته على التفاعل مع المستجدات دون الذوبان فيها أو الانغلاق عنها.

وأجابت الدراسة عن سؤالها الرئيس بأن الموقف الأكثر اتزانًا في التعامل مع المناهج الغربية يتمثل في **التفاعل النقدي المنضبط**؛ أي التمييز بين الأدوات المنهجية التي يمكن الإفادة منها، وبين الافتراضات الفلسفية التي تحتاج إلى مراجعة أو تحفظ. فهذا المسار يجمع بين الانفتاح على الخبرة الإنسانية، والحفاظ على الاستقلال المعرفي، ويمنع في الوقت نفسه الوقوع في التبعية أو الجمود.

وتؤكد نتائج البحث أن استجابة الإسلام للتحديات العالمية لا تقتصر على المجالين السياسي والاقتصادي، بل تشمل المجال العلمي والمنهجي أيضًا. فالمنافسة العالمية المعاصرة تدور كذلك حول إنتاج المعرفة، وتحديد معايير العلمية، وحق تفسير النصوص الدينية والإنسانية. ومن هنا فإن تعزيز الحضور الإسلامي في الساحة الأكاديمية الدولية يقتضي الاستثمار في البحث العلمي، وتطوير المناهج، وبناء مؤسسات معرفية قادرة على الإسهام العالمي.

وتتمثل مساهمة هذه الدراسة في تقديم قراءة تحليلية لأنماط الاستجابة الإسلامية للمناهج الغربية، وفي اقتراح إطار تفسيري يقوم على ثلاث مراحل: فحص الخلفيات النظرية، والانتقاء الواعي للأدوات المفيدة، وبناء بدائل معرفية من داخل المرجعية الإسلامية. ويمكن أن يفيد هذا الإطار الباحثين في مجالات الدراسات القرآنية، والدراسات الإسلامية، وحوار الحضارات، وفلسفة المعرفة.

أما من أبرز حدود الدراسة، اعتمادها على البحث المكتبي وتحليل الأدبيات دون دراسة ميدانية لبرامج الجامعات، أو اتجاهات الباحثين المعاصرين، أو أثر هذه المناهج في الرسائل الجامعية والدوريات العلمية. كما أن الدراسة ركزت على أبرز المناهج الغربية حضورًا، ولم تتناول جميع المدارس الفرعية ذات الصلة.

وبناءً على ذلك، توصي الدراسة بإجراء بحوث لاحقة تتناول تطبيق المناهج الغربية في الجامعات الإسلامية بصورة ميدانية، أو تقارن بين استجابات المدارس الفكرية المختلفة في العالم الإسلامي، أو تسعى إلى بناء نماذج تفسيرية جديدة تجمع بين الدقة العلمية والمرجعية الإسلامية والانفتاح الحضاري. كما توصي بتوسيع التعاون البحثي الدولي على أساس الاحترام المتبادل والتعدد المعرفي، بما يسهم في بناء حوار عالمي أكثر عدلًا وتوازنًا.

المراجع

المراجع الإنجليزية

Al-Attas, S. M. N. (1995). *Prolegomena to the Metaphysics of Islam: An Exposition of the Fundamental Elements of the Worldview of Islam*. International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC).

Al-Faruqi, I. R. (1982). *Islamization of Knowledge: General Principles and Work Plan*. International Institute of Islamic Thought (IIIT).

Arkoun, M. (2006). *The Unthought in Contemporary Islamic Thought*. Saqi Books.

Braun, V., & Clarke, V. (n.d.). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative Research in Psychology*, *3*(2), 77–101. https://doi.org/10.1191/1478088706qp063oa

Creswell, J. W. (2014). *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches* (4th ed.). Sage Publications.

Crone, P., & Cook, M. (1977). *Hagarism: The Making of the Islamic World*. Cambridge University Press.

Cuypers, M. (2009). *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an*. Convivium Press.

Hallaq, W. B. (2013). *The Impossible State: Islam, Politics, and Modernity's Moral Predicament*. Columbia University Press.

Rahman, F. (1982). *Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition*. The University of Chicago Press.

Rippin, A. (2001). *The Qur'an and Its Interpretative Tradition*. Ashgate.

Wansbrough, J. (1977). *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*. Oxford University Press.

المراجع العربية

أبو زيد، نصر حامد .(1990) .*مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن* .القاهرة: المركز الثقافي العربي.

الجرجاني، علي بن محمد .(2007) .*التعريفات* .بيروت: دار الكتب العلمية.

الزرقاني، محمد عبد العظيم .(2001) .*مناهل العرفان في علوم القرآن* .بيروت: دار الكتب العلمية.

القطان، مناع خليل .(2000) .*مباحث في علوم القرآن* .القاهرة: مكتبة وهبة.

دراز، محمد عبد الله .(2005) .*النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم* .القاهرة: دار القلم.

عابدين، محمد فؤاد .(2016) .*مناهج البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة* .عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.